محاربة الفساد الاجتماعي في بعض الخطب المنبرية للإمام أحمد بابا عبد السلام: عرض ودراسة تحليلية

أحمد الرفاعي أمين الله
ahmadaminullahi@gmail.com
08037400194
وعبد القدوس أولايولا
olayiwolaqudus2@gmail.com
08135892656
قسم اللغة العربية، كلية التربية، إيكيري-أيكيتي

مستلخص

إن فلسفة الخطابة في الفنون الأدبية لحد ذاتها الديني لا يخلومن أنها تستلزم في طياتها عقلية نيرة في أبعادها المختلفة خدمة للكون، والبشرية، فتراها تارة في الاجتماعيات، وتارة في الاقتصاديات، وأخرى في السياسياتهذا، وإن الحكمة في الخطابة وما تؤديها من وظيفة لبناء المجتمع الفاضل الذى يعيش فيه الناس ليعيشوا حياة طيبة مطمئنة. وعلى هذه الرؤية السديدة بنى الامام أحمد بابا عبد السلام فلسفة منبره يلقي فيه لباقة خطبه في كل جمعة تتركز هذه المقالة على التعريف بالموضوع، ونبذة يسيرة عن حياة الإمام ورحلته العلمية والأدبية، والعوامل التى أثّرت في حياة الإمام عبد السلام، وصور من محاربة الفساد لدى الخطيب، والخاتمة.

مقدمة

الخطابة علم أساسي قديم لأن ما من مجتمع إنساني إلا ويحاول كل فرد من أفرادتوصيل آراءه وأفكاره إلي الآخر عن طريق التعبير اللفظي باللغة المفهومة لديهم، كما هو الشان عند العرب الذين تجمعهم اللغة الواحدة. يلقي الخطيب من شتى العناوين مما يحدث في ذلك الزمان، مثلا: خطبة عن خطر ومعاصي اللسان، بر الوالدين، آفات اللواط وغير ذلك.

واستخدام الخطب المنبرية استخداما فعالا مؤثرا مما يثبت الحلول للفسد الذيشايع في المجتمعنا، وربما يكون الفساد أكبر المشكلات العالمية التى تجمع المجتمعات المحلية والدولية ويعتبر العقبة الرئيسة أمام إصلاح المجتمع وتنميته. ويعد ارتفاع مؤشر الفساد في أي مجتمع من علامات تدني الرقابة الحكومية، وعدم الاحترام اللقانون، وغياب التمسك بالشريعة، ولهذا، فالفساد آفة علي المجتمع المعاصر وهو ظاهرة وبائية تدمّر النفس البشرية وتعدم القيم والأخلاق.

وقد بذل الخطيب العبقري، الإمام أحمد بابا عبد السلام كل غال ونفيس باستخدام خطبه المنبرية بالعناوين المختلفة المعاصرة. والذى يهمنا في هذه المقالة، ما قاله عن محاربة الفساد في مجتمعنا.

التعريف بالموضوع

لقد اتخذ فن الخطابة ألوانا متنوعة في الأدب النثري حسب العصور المتعاقبة، انطلاقا من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث وحي الفن بخظوظ فائقة في العصر الإسلامي

حيث كان عنصرا أساسيا اعتمد عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في الدعوة والإرشاد، حتى غلبت الخطابة على الشعر العربي الذي تعرفه العرب في جاهليتهم كديوانهم؛ إذ كانت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم أشد اعتناءً وأقوى تثبيتا في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم.[1]

الخطابة: منخطب يخطب خطبة وخطابة أي وعظ، وقرأ الخطابة على الحاضرين، ويقال خطب القوم خطابة، أيضا، خطيبا. وفي اصطلاح الأدباء فقد عرف بأنه خطاب يلقيه فرد مباشرة على جماعة متمثلة بين يديه بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور، أي من مخاطبة الجماهير للترغيب فيما ينفع أو الترهيب عما يضرهم، ويمتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح والإقناع وروعة اللفظ في الاحتجاج والبراهين وجمال التعبير.[2]

أما لفظ الفساد فيطلق ويراد به ضد الصلاح وقد ورد في القرآن الكريم "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" الأعراف57. وحكاية عن موسى لأخيه هارون عليهما السلام، "اخلفنى في قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"الأعراف 142. ومن أظهر موارد الفساد في كتاب الله عز وجل مرتبط بالصلاح والإيمان، إذ الإيمان أساس محاربة الفساد ومقاومته، يقول تعالى: " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا" (الكهف 18).

وقد قرر الاجتماعيون بأن فساد الفرد يفتح الباب لفساد الأسرة إلى فساد القرية، وفساد القرية لجام فساد المدينة، وإذا فسدت المدينة فسدت الأمة وتفسد بعدها

ومعها الحكومة إذ لا يكون للحكومة رجال إلا من الأمة أو المجتمع. والمفسد هو القائم على إفساد العقيدة والداخل في الشرك بالأخلاق الرذيلة السيئة وغير ذلك من الأوصاف المذمومة.
ومن شأن خطيب الجمعة العارف بمقاصد الشريعة والمطلع على أسرارها أن يوجه خطبته المنبرية إلى محاربة الفساد ومقاومته بالحجج والبراهين من الأدلات النقلية والعقلية ويجعل ذلك محور دعوته التى يعلنها من منبره إلى جماعته في كل أسبوع على حد قوله تعالى: " ومن أحسن قولا ممن دعا إلا الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين" فصلت.. 33

ترجمة مختصرة عن حياة الإمام أحمد بابا عبد السلام

ولد الإمام أحمد بابا عبد السلام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر شعبان (فبراير)١٩٥٣م لأبوين كريمين، المرحوم الإمام الشيخ عبد السلام أحمد من إكيري أيكتى، والأم هي السيدة ميمونة أجِكَي أحمد أجِرِن من أبَاجِي إلورن.[3]

عاش والده عبد السلام في إلورن ومكث هناك طويلا حيث كان يتعلم القرآن ومبادئ دين الاسلام. ثم قفل الشيخ عبد السلام إلى بلده والتحق بأهله بعد إكماله تعلمه في إلورن، وقد تقمص هوية أهل إلورن وتبنى مظهرهم وهديهم، وأصبح ينفع عن مصاحبتهم في الدعوة والتعليم، ثم هاجر الشيخ إلى بلده مسترزقا وطالبا, رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

رحلات الإمام أحمد بابا التعلمية

ترعرع الإمام أحمد برعاية الله وعنايته على يد والديه الكريمين إلى أن بلغ السادسة من عمره، فأدخله والده المدرسة الابتدائية الحكومية لجمعية أنصار الدين بإكيرى أيكيتي وذلك العام ١٩٥٩م الميلادي. وكان ذلك العام الذي عين والده الشيخ عبد السلام إماما للمسجد الجامع، إكيرى أيكيتي، فأصبح بذلك أول ابن البلدة الذي يتولى ذلك المنصب الديني الرفيع.

تخرّج الفتى في المدرسة الابتدائية الحكومية عام ١٩٦٥م الميلادي. وفي أثناء تعلّمه في المدرسة الابتدائية

الحكومية, كان يتلقى قراءة القرآن الكريم من والده وبعض الكتاتيب الموجودة بإكيرى إلى أن أكمل القرآن ١٩٦٦م.
وفي سنة ١٩٦٧م التحق أحمد بمعهد التعليم العربي ببلدة أَوْوَوْ الذي أسسه المرحوم الشيخ خضر صلاح الدين أَبَوكَغِي مفتي ديار إلورن السابق. وهناك ارتشف ونهل كثيراً من المعارف والعلوم التي كانت يتلقاها من مدرسيه ويتلقفها وكأنه أدرك أن أمامه مسئوليات مهمة كبيرة تناط به في المستقبل. وقد تفتق ذهنه لهذه العلوم والمعارف من نحو وفقه وحديث وتوحيد ومحفوظات وبلاغة وغيرها. قضى أحمد أربع سنوات لنيل الشهادة الابتدائية والتوجيهية في المعهد. وتخرج فيها في نهاية سنة ١٩٧٠م.

وفي يناير ١٩٧١م بعثه شيخه المرحوم الشيخ خضر صلاح الدين أبوكغي مدرسا في مدرسة أنصار الإسلام بمدينة إكارى أكَوْكَو. وهناك بدأ مهنة التدريس للمرة الأولى في حياته. بقي في هذه المدرسة مدة سنة ونصف1971م-1972م.
سافر الفتى أحمد إلى ليبيا مع زملائه الآخرين من الذين وفقوا بمنح دراسية وكانوا ١٥ طالبا، غادروا وطنهم نيجيريا في ثلاثين من شهر "ديسمبر" ١٩٧٢م ليبدأوا حياة تعليمية في ليبيا،مكث الإمام فيها تسع سنوات، حصل من خلالها على شهادة الليسانس في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٥م، وأخرى في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٧٩ ثم عاد إلى نيجيريا عام ١٩٨١ قافلا من رحلاته العلمية المثمرة في ليبيا.[4]

مهنة التدريس بعد عودته من ليبيا

سرعان ما رجع أحمد إلى نيجيريا، انضم إلى أقرانه في الخدمة الوطنية الإلزامية للشباب خريجي الجامعات في نيجيريا وخارجها، وقد تم بعثه إلى ولاية كنو في شمال نيجيريا، فَبُعث إلى كلية المدرسين المتقدمين سابقا، المعروفة اليوم بكلية التربية الفدرالية، ليُدرّس اللغة العربية فيها.

وفي منتصف نوفمبر ١٩٨٢م ظفر بمهنة التدريس وعيّن مدرسا للمواد الإسلامية في إحدى المدارس الثانوية الحكومية في ولاية لاجوس، وفيالفترة نفسها وظف كمترجم وقارئ الأخبار في إذاعة صوت نيجيريا قسم اللغة العربية إِكَوْيِى، لاجوس. فاستمر في هاتين الوظيفتين لخمس سنوات، وكان يقوم بالتدريس صباحا إلى الظهيرة،، ويقضي في الإذاعة مساء إلى الليل.

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٨٨م عين أحمد مدرسا مساعدا بجامعة ولاية لاجوس قسم اللغات الأجنبية التيتضمالشعبة العربية، فاكتسب من ذلك تجربة واسعة في التدريس في المؤسسة التعليمية العليا كالجامعة ، وقد ظلّ مدرسا في هذا المستوى لمدة ثلاث عشرة سنة من نوفمبر 1988م إلى أبريل2001م[5]

تعيينه وتوليته منصب الإمامة

بعد مقابلة ومشاورة رشيدة بين جماعة أنصار الدين إكيرى أيكيت، تم تعيين الأستاذ أحمد بابا عبد السلام لمنصب الإمام سنة 1999م, ورحب الناس بهذا التعيين وسر به جميع طبقات المجتمع، ورأوا أنه توفيق من الله تعالى وتمنوا أنه يفتح عهده بخطوة إيجابية جديدة تتولى بالازدهار

والتقدم للإسلام والمسلمين في البلدة وولاية أيكتي، وبقي الإمام أحمد في عمله بجامعة ولاية لاجوس لمدة سنتين بعد تعيينه إماما. وكان يتردد بين لاجوس وإكيرى ذهابا وإيابا لأداء مهماته الإمامية.
وأخيرا استقال من عمله مع الجامعة في إبريل ٢٠٠١ بعد أن ضمن وظيفة تدريس أخرى بكلية التربية إكيرى قسم العربية واستأنف العمل في اليوم الثاني من مايو٢٠٠١. ثم انتقل نهائيا إلى مسقط رأسه من لاجوس نوفمبر ٢٠٠٢م بعد أن قضى هنالك عشرين سنة. ومنذ ذلك الوقت بدأ الإمام أحمد يشق طريقا جديدا ويدخل منشأ جديدا في تتويع الخطب لمنبرية واستخدامها لمعالجة القضايا المحلية والقومية والدولية، وخاصة القضايا المعاصرة؛ كقضية الاحتبال المعاصرة المسمى بـــــ (419)، وقضية تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وغيرها مما ستتم الإشارة إليها في محلها في هذه المقالة.

العوامل التى أثرت في حياة الإمام أحمد بابا عبد السلام

ويجدر بالباحثين أن يشيرا إلى عوامل تكوين الخطيب، تلك العوامل التي أثّرت فيه وتأثّر بها تأثرا عميقا، وتنبعث هذه العوامل من العامل البيئي، والفكري، والعقلي، والتعليمي، إلى جانب عديد مما ساعد الخطيب على أن يكون ناجحا في تلك الوظيفة الدينية البالغة.

* عامل البيئة:

كثرت العوامل التي تكوّنت منها شخصية الخطيب الإمام أحمد بن عبد السلام في خطبته، وفي صدارة هذه العوامل؛ تلك التي نشأ فيها الخطيب، وهي البيئة التي نشأ بها، وترعرع فيها، بداية من ولادته من أبويه الكريمين اليوربويين الأصيلين، وهما لا شك من أولي النباهة في الكلام بلغة يوربا، ومن المتحمسين لها ثقافة وعادة، ومن هنا يظهر أن الخطيب نشأ ناطق لغة يوربا بكل فصاحتها وبلاغتها، يصنع بها ويدرك، ويشرح، ويحقق، والواقع أن الله عزّ وجلّ لم يبعث رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ما لايفقهون. وأما من جانب العقيدة فقد فتح الخطيب عينيه منذ صباه ليدرك ما كان عليه قومه من عبادة الأوثان، والأصنام، و ما عم عليها من العقائد الباطلة، والتى كانت بلدته أَيْكِتِي من أشدّ البلدة اليوربيوية إيمانا بهذه العقائد الوثنية، فاغتنم فرصة تربيته -من قبل أبويه المسلمين- تربية إسلامية فتولى مهام هداية قومه، وسلك طريق تأدية

رسالة ربّ العزّ والجبروت ليطهّر بذلك قومه من ظلمات الشرك والكفر والطغيان، إلى محجة الهدى البيضاء.
ومهما يكن فقد تأثر الخطيب بهذه البيئة، فصنعت فيه روحا دينية راسخة من جانب، وأخلاقية اجتماعية صافية، ولسانية يوربوية من جانب آخر، فجعلته يتنبّه إلى كل فساد اجتماعي من قومه، ويحسّ، ويوصي، ويصحح ويقوّم.

*عامل الثقافة

فالكلام عن ثقافة الخطيب الإمام أحمد هو الكلام عن ثقافة مزدوجة بين الثقافة اليوربوية الأصيلة فيه، والثقافة الإسلامية ثم الغربية. هذا لقد اقتضت حكمة الله العليا أن يكون الخطيب يوربويا شعبا، فحريّ أن يتعلّم من ثقافة قومه تعلما تقليديا يقوّى به عقله، وفكره، وأدبه، وليس من شك أن لقبيلة يوربا من العادات والتقاليد الانسانية ما لا يحصى ولا يعدّ، وهي حضارة غنية فعالة سواء ما يتعلّق بالثقافة للسانية، أو يمت بالصلة إلى الثقافة الأدبية، أو الفكرية والاجتماعية. والواقع أن الخطيب نشأ وترعرع في بقعة من أعين البلاد اليوربوية، والتي اعتنت كثيرا بحفظ تراث أجدادها في جميع المناسبات، عادات، وتقاليدا، ثقافة وآدابا وأخلاقا.

ومن ثم فقد اتخذ الخطيب الثقافة إسلامية ضرورة لازمة لأداء الرسالة التوحيدية، ومهامة الدين الحنيف، إيمانا منه بأن تولية منصب الإمامة تقتضي قسطا كبيرا من الثفافة الإسلامية، فضرب بأكباد الإبل إلى مدرسة الشيخ أبي بكر أَبَوْكغي- المفتي العام لمدينة إلورن سابقا- أحد فروع معهد الشيخ كمال الدين الأدبي للتربية الإسلامية في ميادين الدعوة، والوعظ، والإمامة، والإرشاد، والفتوى، ومن هذه البقعة العلمية الإسلامية الهادفة اقتبس الخطيب نور دعوته وإمامته، فتأثّر بعلمائه في الحلقة تأثرا بالغا في جميع مجالات الحياة.

وعلاوة على ذلك فقد أخذ الخطيب النصيب الوافر من الثقافة الإنجليزية، وخاصة الثقافة اللسانية، لأنه يؤمن إيمانا جازما بأن البيئة التي يقصدها بدعوته الإسلامية

حماة الثقافة الغربية، متمسّكين بها تمسّكا عصبيا، اشتهر القول: "إن أهل أيْكِتِي وأنْدُو أكثر النيجيريين ثقافة غربية، وأنه لكل بيت من بيوتها بروفيسور في العلوم الغربية وفنونها".

* عامل العقل والتربية

وأما عامل الخطيب العقلي فيظهر جليا فيما يعتقده من صباه اعتقادا جازما من الفكر الإسلامي في شرائعه، وتعاليمه، وسلوكه، تلقاه طابقا عقله مع روح القرآن وسنة نبيه المطهرة، وآثار السلف الصالح. ويضاف إلى هذا ما رزق الله الخطيب من ذكاء مرهف، وبصيرة ثاقبة، يتعامل بها مع هذه المصادر الإسلامية الراقية، مستنبطا منها ما يناسب الأحوال والظروف والمناسبات.

ومما يجدر الإشارة إليه من عامله العقلي ما ورثه من أبيه من عقل جلدي منطوي، وكذلك ما يخصّ به الشعب النيجيري من عقلية نيجيرية متميّزة في خصائصها، ومتفرّدة في تفكيرها وعرضها، بل لا تقاس عقلية الشعب النيجيري مع عقلية الأمم الأخرى في الجدل، والنقاش وغيرها.

وعلى هذه الخصائص من العوامل التي تكوّنت منها شخصية الخطيب الإمام أحمد، يحسن للباحث أن يعرض نماذج حية من خطبه ليُعضد به ما ذهب إليه من وصف عوامل تكوين خطبه. وهي خطب غاية هدفها يرمي إلى القضايا المعاصرة في شتى المجالات الدينية والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.

صور من محاربة الفساد الاجتماعي لدى الخطيب

ولما كان شأن المسلم المخلص ليس كشأن بقية الناس، وهو مأمور بالنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف في أيّ

مكان أو زمان وجد نفسه فيهما، وخاصة من كان عالما بين المسلمين، دلالة أنه لم يخلق سقطة متاع ورهن إشارة لكل ناعق وناهق بل استخلفه في أرضه ليقيم العدل بينه وبين أفراد جنسه، وسائر الخلق، ولذا أودع فيه جل جلاله التفكير، وشرع له مناكب العلم، والوعي والإدراك.[6]

وعلى هذا الأساس القوي تحمّس الخطيب على مقاومة فساد مجتمعه في أيام الجمعة بتوجيهاته المنبرية، والحق أن المجتمع النيجيري وخاصة في الجنوب الغربي مجتمع شاع بينهم الفساد العقدي والخلقي، فلا حرج إذا كثر في خطبه الأبعاد الاجتماعية، ذلك بأنك تجد عنوان خطبته حينا يتعلّق بالدين، أو السياسة، أو غيرهما، لكنه مع ذلك يتناول فيها بعض القضايا الاجتماعية الحارة، وسيشير الباحث إلى نماذج من ذلك بالتفصيل.

ولا غرو في ذلك كله إن الخطيب أكد أنه ابن بيئته، وحِلّ بلدته، فإذا سقط عن هذه الأحوال الذميمة فمن عسى أن يصححها، والأديب إذا لم يتمكّن من وصف ما يدور في البيئة التي يعيشها فإنه ينتابه النقص والضعف، ولن يكون أديبا منصفا، ولا يستحقّ ما يستحقّه الآخرون من أولي النباهة والفكر بمجتمعهم، وإلى ذلك ذهب المنفلوطي في قوله: "وكان أشعر الشعراء عندي وأكتب الكتاب-سواء في ذلك المتقدم والمتأخر والنابه والخامل – أوصفهم لحالات نفسه أو آثر مشاهد الكون فيها وأقدرهم على تمثيل ذلك وتصويره للناس تصويرا صحيحا كأنما هو يعرضه على أنظارهم عرضا أو يضعه في أيديهم وضعا" [7]

وكان من خير ما يمثل ذلك للخطيب في خطبه ما ورد له من الأبعاد الاجتماعية، والتي يقول فيها على نحو ما يلي:

"يا عباد الله! إن الفساد قد عمّ البلاد وطوق شعوبها، ولم يستثن منه أحدا، إن جريانه في حياتنا العامة كسريان الدماء في عروقنا لم ينج ولم يزك من هذا، لا كبير ولا صغير، ولا رفيع وهم رواده، ولا حصيص لا ذكر ولا أنثى، لا يكاد يوجد شيء في هذا البلد إلا وهو يرتبط بالفساد في إنشائه، وإقامته حتى حياتنا السياسية. إن الفساد جعل تحقيق إنجاز أي شيء مهما كان صغيرا أو تافها أمرا صعبا، إنك لترى موظفا صغيرا في الوزارة أو في مؤسسة حكومية أخرى يطلب منك الرشوة قبل أن يقوم بعمل يتقضى فيه الرواتب كل شهر، قد لطح الفساد سمعة البلاد في الخارج مراسم نيجيريا اليوم مترادفة بالفساد، وبلغت دورته في الاحتيال المالي، إن سكوت الحكام وبجهلهم عن هذا الوباء جعلت الفتنة عامة، والعذاب عاما، فبدأ يصدق علينا قول الله تعالى كما صدق على بني إسرائيل: "لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون... انوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" (المائدة: 78-79)

بادر الخطيب في هذه الخطبة إلى مقاومة فساد المجتمع، والذي كان الرؤساء والسياسيون حمّال رايتها بلا نزاع، وأشار إلى أن أسوأ من كل شيء سكوتهم على تلك الحوادث الذميمة القاتلة لأيّ مجتمع كان، وأكّد ذلك بمغزى كلام الله في بني إسرائيل على سكوتهم للأخلاق الفاسدة، والذي حذّر فيه المولى الحكيم من يأتي من بعضهم من ارتكاب مثله لمن لقي هؤلاء من الله من عتاب شديد ولعنة مبكية غايتها الخسارة الكبرى التي لا يخرجون منها أبد الآبد. ويقرر في موضع آخر وصفا للحوادث الاجتماعية، فيقول:

"يا عباد الله! إننا في الزمان قد تغيرت فيه كل الحِكم، وتبدلت فيه جميع المعايير والمقاييس التي يتعامل الناس بها بعضهم مع بعض. إننا في الزمان يكاد ينعدم فيه الصالحون المتقون. نحن في الزمان عمّ فيه الشرّ والفساد، وعليها يعيش الناس، حتى كادوا أشد شرسا وفتاكا من الحيوانات الكاسرة، لا يراعي إنسان في هذا الزمان حقوق أخيه الإنسان. في هذا الزمان يخون أخ أخا من أجل المال ويقتله، يتآمر الرجل على امرأته لأجل منفعة أنانية، والمرأة وتفشي أسرار والد أبنائها لأعدائه ومناويئه للارتزاق. بل أصبحت العلاقة بين الأب وابنه في هذا الزمان مبنية على الشك والارتياب. فالإبن يتمنى ويدعو ثم يسعى إلى تعجيل موت أبيه كي يرثه، ويملك بل

يستولى على ثروته، والأب من جانبه إذا لم يلق ما يرضيه من ابنه يدعو عليه ويقصيه من جيمع حقوق البنوة....."[8]

ويقول في موضع آخر وصفا لحالات الناس الاجتماعية، والتي لا يقدر أي قلب سليم أن يلتمس فيه، ولا يتخلّف من مقاومته حتى المسلم الضعيف، ولو كان مغيرا ذلك بقلبه، وقد وصف هؤلاء من المسلمين كضعاف الإيمان، ونقلا من الخطيب، يقول:

"هناك ظاهرة اجتماعية سلبية غربية ظهرت في الآونة الأخيرة، وبدأت تزحف على شباب وشابات مستقبل هذه الأمة. بدأت هذه الظاهرة تطغي على كل القيم والمثل التي نعرفها قديما في أوساطنا الاجتماعية، وحياتنا الدينية، ما كان هناك أحد من الشباب في الماضي أن يتجرأ على انتهاك حرمة هذه القيم، والازدراء منها لأنه كان يعرف مسبقا أن ليس هناك مكان يحويه، ولا أسرة تحتضنه إذا استخف بتلك المثل والقيم لأن كل واحد من بين أفراد المجتمع يحميها ويقدسها. إن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال بألوان شناعته إذ لم يوقف بكل وسيلة معروفة تستخدم لاجتثاث جذور الرذائل نذير بوقوع ما هو الأقبح منه شناعة وأشد منه عقابا، وأدعى إلى غضب الله على الخلق وهو اللواط"

فالخطيب في هذا الصدد يشير إلى ما فقده شباب المجتمع النيجيري وخاصة في الجنوب من الحياء، والمروءة، والمثل الإنسانية المألوفة، والذي يقول فيه د. ذكر الله الشافعي: "فالواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر. والحياء يدل على العقل كما أن عدمه يدل على الجهل ومن لم ينصف الناس حياؤه لم ينصفه منهم قحته.[9]

وفي قول طرفة بن العبد:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ** فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك فإنما ** يدل على وجه الكريم حياؤه[10]

فالحياء أمر ضروري في أي مجتمع، إذا فقد فقد كل شيء، وقد دعى الخطيب إليه في مواقف عديدة، ولما فقد شباب المجتمع الذي يعيش فيه الخطيب هذا السلوك النبيل نادى بأعلى صوته، وعاب أولي الأمر من الآباء والأمهات على تسللهم في مراقبة أبنائهم، وبنى فلسفته على ما ورد من الكتاب والسنة الشريفة، إذ ليس هناك مصدر لتهذيب الأخلاق سوى المصدرين السابقين الذكر. وقد أكّد البروفيسور أغاكا على هذه الظاهرة، حيث يقول: "ولا يعني ذلك أن الدين كله قد تحول إلى قضايا تهذيبية، وقواعد سلوكية دون اهتمام بالغ باعتبارات فنية تهب النص حياة ونبضة بل المقصود هنا أن يلبي مقاصد جليلة لبناء المجتمع الفاضل الذي تستقر به السعادة الإنسانية بناء يتوقف على ترسيخ الأهداف العظيمة في نفوس الأفراد والجماعات"[11]

وقد فشت هذه المنكرات في مجتمعنا نراها ونلمسها كل يوم في الشباب، تشيع وتنتشر هذه المنكرات في الأماكن قلّ أن يتصور وجودها فيها وهي المؤسسات التعليمية العليا، ولا ينكر على أحد من أصحاب العادات الشاذة أصحاب الحكم ورجال الدين، إن انهيار عروة الأسرة وتناسي كل فرد من أفراد المجتمع عن مسؤوليته قد ساعد في المجتمع هذه المرتفعات. من مفاتيح النار التي كثرت في النساء في هذه الأيام: -وصل شعرها بشعر أجنبي (الباروكة) ولو كان شعر حيوان - أخذ شعر الحاجب أو بعضه بلا ضرورة -تحمير الخدود أو تحضيرها -مساواة الأسنان ببعضها، وإحداث الفرجة بينهما - متاجرة المرأة بفرجها -قال النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشحة والمستوشحة، والنامصة والمتنمصة، والمتفلجات".[12]

انظر كيف نصّ الخطيب تنصيصا على الفتيات، دلالة على أن ما تصدر منهن من أنواع المنكرات والفحشاء في ربوع الجامعات والكليات المماثلة أسوأ وأمرّ، ومن جهة أخرى؛ فإن استقامة الفتاة تؤدي إلى استقامة الشباب، وفي ذلك يرى د. كمال الدين علي: "أن فساد المرأة بجميع مراحل حياتها – بنتا أو فتاة أو بكرا أو زوجة أو أما أو جدة – فساد اجتماعي شامل لأنها هي المدرسة الأولى للأبناء، ونصيف الرجال وربات البيت، وأحد سهام الشيطان؛ لذا تحتاج إلى الاعتناء بها وحسن تربيتها" [13]

وليس الخطيب بدعا في مخاصمة فساد أخلاق المرأة في المجتمع النيجيري اليوربوي، فقد كانت سنة الأسلاف من العلماء اليوربويين قبله، وعلى ضوء ذلك يقول

العلامة بنيامين في وصف الظاهرة الجاهلية الأولى في بنات زمانه:[14]

ومن قبح حوب قل تبرج حرة ** كـــــــــأن بخديـــــــها لناظـــرهـــــا بـــــــــــــدرا

وفي عنفوان قبح عاداتهـــا إلى ** سنين رشاد لم تبل مـــن نهى نكـــــــــرا

وعاداتها في بيت أب كهــذه ** فأنى ترجى حسنها إذ قد حوت فجرا

وبهذا يُدرك أن الخطيب وفى بعهده في متابعة مجتمعه في خطابته، لأنه استطاع أن يقاوم أخطر المشاكل الاجتماعية التي كانت حديث الدهر، إيمانا بأن دور العلماء في بناء المجتمع الفاضل كان ولا يزال بمرتبة عليا، فاغتنم تلك الفرص الثمينة وأدى فيها أمانة رب العزّ والأجلّ.

الخاتمة

لقد تمكن الباحث من خلال هذه الصفحات التى تحتوى على دراسة بعض خطب الإمام أحمد عبد السلام في محاربة الفساد الاجتماعي أن يبرز للقراء ما لهذا الخطيب من القوة الخطابية في ولاية أيكيت وأنه كان ولا يزال يتمتع بروح الابداع والانشاء في خطبه المنبرية ويستعمل الألفاظ الجزلة السهلة، ليست الغربية الوحشية التى تتعب المستمعين والمطلعين على السواء إيمانا منه بأنه يخاطب من الناس أعوامهم.

وقد شهدت المقالة على سلامة اختياره للعناوين التى تاتى مناسبة للوقائع الاجتماعية المعاصرة، ولا شك أن

الخطابة العربية المنبرية تقوم بدور فعالٍ في محاربة الفساد الاجتماعى ومتابعة الأحداث الاجتماعية وهو جهد مشكور قام به الإمام أحمد عبد السلام الذى نتمنى له كثيرا من الانتاجات الأدبية الاجتماعية وغير الاجتماعية لخدمة الدين الحنيف واللغة العربية وآدابها في هذه الديار.
و أخيرا، على أساس ما سبق يود الباحث أن يوصي القراء والزملاء والباحثين بما يلى:

1- مواصلة الدرب في دراسة الخطب المنبرية لعلماء نيجيريا، إيمانا بأن هذا الجانب لم ينل اهتمام بالغا من الدارسين والباحثين كغيره من الدراسة الأدبية في نيجيريا.
2- يوصي الباحث الخطباء بالاهتمام بإنتاجهم حتى ينتفع به الباحثون والدارسون في المستقبل.
3- يجدر بالخطباء طباعة ما يلقون في كل أسبوع، وهذا يساعد في انتشارها بين الناس وكثرة الانتفاع بها.

الهوامش

1- المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، قاموس عصري مطلول اللغة العربية، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، مصر. ص 240-241.

2- شوقي ضيف، "**الفن ومذاهبه في النثر الفني**" دار المعارف، مصر (1987م) ط/5. ص 29

3-Alade R. (Alhaji) (2013) Chief Imam Islahudeen Central Mosque, Ikere-Ekiti, Ekitistate.age 72, on 25/5/2013.

4- Imam Ahmad Baba Abdulsalam, Chief Imam Ansarul-deen Central Mosque Ikere-Ekiti, and a Principal Lecturer in Department of Arabic, College of Education Ikere-Ekiti, Age:60, an interview at his residence, oke-Osun, Ikere-Ekiti. on 10/8/2013

5-Imam Ahmad Baba Abdul Salam, Ibid.

6- أغاكا، عبد الباقي شعيب، **الأدب الاسلامي في ديوان الالوري**، مطبعة ألبي جمبا، إلورن ط\1، ص178

7- عبد الحليم محمود، "**النصوص الأدبية تحليلها ونقدها**" مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، مملكة العربية السعودية. 1990م، ص 283

8- الإمام أحمد، خطبة الجمعة: أخذ الحذر من المحتالين الدجالين، التاريخ: (29 يوليو 2005م) مخطوط
9- ذكر الله الشافعي، "الاستقامة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع" **مجلة الأصالة**، الدكتور قاسم نايت بلقاسم، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر. العدد الأول، الجزء الأول، شوال 1431هـ الموافق أكتوبر 2010م، ص 162
11- أحمد الأسكندري و كبير أحمد أمين...، **فصول في تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية**، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة. ص9.
12- أغاكا عبد الباقي شعيب، المرجع السابق،ص 205
13- الإمام أحمد، خطبة الجمعة: معصية التشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، التاريخ: (16 يونيو 2006م) مخطوط
14- د. كمال الدين علي، **النقد الاجتماعي في الأدب العربي وأثره في إصلاح الفردي والتقدم الحضاري والأمن القومي**، (1434ه\2013م) ص 58.